Dirassat & Abhath
The Arabic Journal of Human and Social Sciences

مجلة دراسات وأبحاث
المجلة العربية في العلوم الإنسانية والاجتماعية

EISSN: 2253-0363
ISSN : 1112-9751

معرفة ميكيل دي إيبالثا بالأمير عبد القادر من خلال مراسلاته

Mikel de Epalza gets to know Emir Abdelkader through their correspondences

فؤاد كبداني [1] Fouad Kebdani، عبد الرحمان قدوري [2] Abderrahmane Kaddouri

1 جامعة الدكتور الطاهر مولاي سعيدة،

Professor A, University of Dr. Taher Moulay Saida, Faculty of Humanities and Social Sciences

Department of Humanities.

الايميل المهني للباحث الأول: fouad.kebdani@ univ-saida.dz

2 جامعة الدكتور الطاهر مولاي سعيدة

Professor A, University of Dr. Taher Moulay Saida, Faculty of Humanities and Social Sciences

Department of Humanities.

الإيميل المهني للباحث الثاني: abderrahmane.kaddouri@univ-saida.dz

المؤلف المرسل عبد الرحمان قدوري Abderrahmane Kaddouri الإيميل:

kaddouriabderrahmane2@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2021-10-10 تاريخ القبول : 2021-10-20

الملخص :

لقد اهتم الباحثون من كل بقاع العالم ومنهم الاسبان بدراسة شخصية الأمير عبد القادر، وراحوا يحللون في فكره وسياسته ورؤياه للشؤون العامة للأمة الجزائرية ببعدها الداخلي ولما كان يحدث في العالم ببعده الخارجي. اتفقت أغلبية الكتابات على عظمة وعالمية شخصية الأمير عبد القادر، فقد كان بالفعل من أبرز القادة في القرن 19م، إن في المجال العسكري أو السياسي، هذا دون إغفال الوجه العلمي، الثقافي والديني لهذه الشخصية التي ألهمت الصديق والعدو، وأجبرت العدو على احترام النموذج الجزائري البحت، إن كان في مجال المقاومة دفاعا عن الأرض والعرض، أو في المجال السياسي بتلك الخطوات الحكيمة والجبارة في إنشاء أسس وقواعد الدولة الحديثة.

الكلمات المفتاحية: الأمير عبد القادر، ميكيل دي إيبالثا، الجزائر، إسبانيا، المراسلات.

Abstract:

Historians and Researchers from all over the world, including the Spanish, were interested in studying the Algerian personality of Emir Abdelkader. They analyzed his ideas, policies and visions for the general affairs of the Algerian nation with its internal dimension and what was happening in the world with its external dimension. Most of the writings agreed on the greatness and universality of the personality of Emir Abdelkader. He was one of the most prominent leaders in the 19th century, whether in the military or political sphere, without forgetting the scientific, cultural and religious aspects of this personality which inspired the friend and the enemy, and forced the enemy to respect The purely Algerian model, if it is in the field of resistance in defense of land and religion, or in the political field by these wise and mighty steps in establishing the foundations and rules of the modern state.

Keywords: Emir Abdelkader, Mikel de Epalza, Algeria, Spain, Correspondences.

مقدمة:

شغلت شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، الباحثين والكتاب والأدباء والعسكريين على حد السواء، من العرب والعجم، من أعدائه وأصدقائه، بسبب القوة النفسية والروحية التي تجلت فيه، حيث مارس كل صلاحياته القيادية بمهارة فائقة طيلة حياته، وبرزت قدراته السياسية والعسكرية عبر مراحل مقاومته للمستدمر الفرنسي، مما ألهم العديد من الكتاب والمؤرخين للبحث في شخصه، ومنهم كتاب أجانب من أوروبا، سمعوا عنه أو التقوا به، ومن هنا تبرز إشكالية هذا البحث كما يلي:

كيف عالج الكتاب الأوروبيون والاسبان بشكل عام شخصية الأمير عبد القادر، وبشكل خاص المؤرخ الاسباني المستعرب ميكيل دي إيبالثا؟

وتهدف الدراسة إلى توضيح الرؤية الأوروبية عن الأمير عبد القادر، وإبراز دور المؤرخين الاسبان ومنهم ميكيل دي إيبالثا، في تصحيح الصورة المشوهة عند الغرب عن الأمير عبد القادر، كما تهدف الدراسة إلى تشجيع العمل البحثي في مجال الدراسات الاستشراقية التي عنيت بتاريخ الأمير عبد القادر بشكل خاص، وتاريخ الجزائر بشكل عام.

اعتمدنا في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، لاسترداد مختلف الوقائع والأحداث التي جسدت عظمة وقوة شخصية الأمير عبد القادر، وأثرها في كتابات الاسبان وخاصة المؤرخ ميكيل دي إيبالثا.

كما اعتمدنا على المنهج التحليلي لدراسة أفكار وآراء ميكيل دي إيبالثا، حول مختلف المراسلات التي بعث بها الأمير عبد القادر، إلى حكام إسبانيا خاصة الملكة وحاكم مدينة مليليه،

ممـا يـدل علـى حنكتـه الدبلوماسـية، ومعرفتـه الدقيقـة بالخريطة الجيوسياسية لأوروبا.

وقـد شـمل البحـث خمسـة عناصـر رئيسـية، حاولنـا فيهـا الإلمام بمختلف جوانب الموضوع، حيث تطرقنا بداية للنظرة الأوروبيـة غير الرسـمية عنـد المـؤرخين والكتـاب للأمير عبـد القادر، ثم تطرقنا لأسباب اهتمام المؤرخ الاسباني ميكيل دي إيبالثا بالأمير، وتحليله لمراسلات الأمير وإبرازه لمختلف أبعاد هذه الشخصية، مما أثر وشكل نظرة محايدة وإيجابية من طرف حكام اسبانيا تجاه الأمير.

أولاً: الكتابات الأجنبية عن الأمير عبد القادر:

أسسّـت التّجربـة الاسـتعمارية المريـرة بـالجزائر لنمـوذج المقاومة الجزائرية، حيث اتّصفت بطابع الاستمرارية المتجدّدة غير المنتهية. وهذا كله إيمانا ثابتا بالوصول يوما ما إلى جزائر حرّة مستقلّة؛ هذا المسار كلّه كان تحت شعار "الدّفاع عن الأرض والإسلام". في عملنا هذا أردنا أن نثير موضوعا مهمّا يتعلّق بماضينا وأحد أبرز رجالاته، إنّه الأمير عبد القادر الجزائـري 1808م-1883م، الإمـام، السياسـي، الكاتـب، الشـاعر، الفيلسـوف والقائـد العسـكري الداهيـة، هـذه الشّخصية الّتي صنعت ملامح البطولة والبسالة، وتركت المشهد واضحا من خلال تلك المعارك الّتي أبانت عن الطّابع الجزائري المتمرد على كل ما هو دخيل وغير مرغوب فيه؛ كما أسدلت السّتار عن قضية واضحة المعالم، تمّ الفصل فيها، وأجمع الجميع على عظمتها؛ إنها قضية الجزائر الثّائرة المقاومة.

إن عظمة وعالمية شخصية الأمير عبد القادر لا اختلاف عليهما[1]، فالأمير من أبرز قادة القرن التاسع عشر، برز في المجال العسكري والسياسي، كما كان له وجه علمي وثقافي، تكوينه الديني صقل هذه الشخصية التي ألهمت الصديق والعدو، حيث أجبر العدو على احترام هذا النموذج الجزائري البحت، إن كان في مجال الكفاح والمقاومة دفاعا عن الأرض وحفظا للكرامة، أو في المجال السياسي بخطوات الأمير التي اعتبرت أدوات أسست لمعالم الدولة الجزائرية الحديثة.

اهتمام الباحثين والمهتمين بدراسة شخصية الأمير عبد القادر كان اهتماما عالميا بامتياز، واجتهد هؤلاء في تحليل الفكر السياسي والاجتماعي للأمير، ووقفوا عند حنكته السياسية وبعد نظره ورؤياه للشؤون العامة للأمة الجزائرية داخليا وارتباطاتها بما كان يحدث في العالم الخارجي. لقد كتب الفرنسيون كثيرا عن الأمير عبد القادر الجزائري[2]، ولم يتأخر نظراؤهم الألمان والإيطاليون، كما برز الأمريكان بتأليفاتهم وحتى اليهود اهتموا بسيرة هذا الرجل العظيم، الذي كان همه أحوال أمته.

لقد اهتم الباحثون الاسبان بدراسة شخصية الأمير عبد القادر، وراحوا يحللون في فكره وسياسته وتسييره للشؤون العامة لشعبه، وتعمقوا في تعاملاته الدبلوماسية وعلاقاته الخارجية خاصة مع إسبانيا، حيث اتفقت الكتابات الإسبانية على عظمة وعالمية الأمير، والذي امتد صيته إلى يومنا هذا، كأحد أبرز رجالات تاريخ الإنسانية العظام، خاصة في المجال الإنساني بإبداعاته الفكرية، وكذا دفاعه عن قداسة الدم الإنساني مهما كان أصله، فكان من المؤسسين العظماء لمعايير الصلح والحوار بين المختلفين.

في تقنيات هذا العمل البسيط جانبنا الدراسات والكتابات العربية و الفرنسية على السّواء، في المقابل تطرّقنا لنظيراتها الإسـبانية، كدراسـات ميكيـل دي إيبالثـا فيرّيـر، خـوان سيسـنيّو، خـوان باوتيسـتا، مانويـل دي مـالو دي مولينـا، أنطونيـو ماديرا فيفيرو، كريسبين كسيمينيز دي ساندوفال، جيريلي أنجيلـو، جوليـان سـانزديل، رويـس دي كويبـاس، إيدلفونسـو أنطونيـو برميقـو،...الخ، و هـذا رغبـة منّا في تنـاول الموضوع من زاوية جديدة تبرز لنا حقائق ومعطيات تاريخية تظفي في نهاية المطاف إلى التأكيد على عظمة هذه الشّخصية، وقوة تأثيرها عبر مسارات التاريخ والجغرافيا.

ثانياً: اهتمام المؤرخ الإسباني دي إيبالثا بالأمير عبدالقادر:

لعل من أهم وأبرز المؤرخين الاسبان الذين بحثوا في ماضي شخصية الأمير عبد القادر، وحاولوا إبراز معالمها من خلال المضامين الدينية، العسكرية والسياسية، هو المؤرخ ميكيل دي إيبالزا فيرير[3] والذي كثيرا ما ركز على زيارة شخصيات إسبانية في أغلبها عسكرية للأمير عبد القادر[4]. كما نجده يتحدث بإسهاب عن رسائل الأمير عبد القادر للملكة الاسبانية إيزابيلا الثانية[5]، حيث راسلها يطلب المساعدة والنجدة، وذلك بعد انحصار جيش الأمير في مواجهته للقوة الفرنسية المتزايدة، هذه المساعدة التي لم تتحقق على أرض الواقع[6].

ركز المؤرخ الاسباني ميكيل دي إيبالثا اهتمامه حول القضية الجزائرية وتقاطعات أحداثها التاريخية، وبالتالي كانت مقاومة الأمير عبد القادر من أهم تلك الأحداث المفصلية،

فالأمير مثل الحلقة التي جمعت بين حد السيف ورسالة القلم، كما استطاع أن يزاوج بين الدين وشؤون الدولة من دون تناقضات. هنا يتعرض دي إيبالثا إلى إشكالية فجوة المؤرخين الاسبان في دراسة تاريخ الأمير عبد القادر[7] ، و ذلك من خلال عمل المؤرخ نفسه حول البيبليوغرافية الاسبانية ذات الصلة و مدى غناها[8] و يقف دي إيبالثا على أهم تلك المذكرات التي تعود للعسكريين الاسبان على شاكلة *Crispin Ximenez de Sandoval* و *Antonio Madera Vivero*[9]. أو ما تم التطرق إليه وترجمته عن أعمال الفرنسيين من أمثال أوجوست دو فرونس[10] الذي اختص بالكتابة عن الأسرى خلال فترة مقاومة الأمير عبد القادر، ولقد انفرد إيبالثا بالجديد في توثيقه لأحداث لها علاقة مباشرة بتاريخ الأمير عبد القادر و علاقاته مع الإسبان، معطيات تاريخية جعلته يمتدح الأمير و يلقي الظل على حقائق الشخصية الجزائرية، التي أثبتت وجودها، وجاء ذكرها بالمميزة في أهم الكتب، الموسوعات، و حتى القصص والأدب العالمي، الظهور العالمي هذا أثبت مدى الصدى الايجابي الذي تركه الأمير كزاد إنساني مهم، خاصة تلك الأدوار الانسانية التي عملت على حماية المسيحيين عام 1860م، فكانت خير جواب لمن شكك في بعد النظر لشخصية الأمير[11]، كما اهتم إيبالثا بالتاريخ البطولي للأمير و كثيرا ما اعتمد على المختص في مراسلات الأمير عبد القادر هنري تيسي[12]، و الذي وصف مكانة الأمير عبد القادر بالعالمية، وشخصيته بالمتفردة و العظيمة، و أعماله بالجليلة و أخلاقه بالعالية و السامية فقد أكسبته الاحترام.

ثالثاً: قراءة المؤرخ الاسباني إيبالثا لمراسلات الأمير:

جلبت طبيعة العلاقات التي كانت تربط الأمير عبد القادر بالسلطات الاسبانية اهتمام المؤرخ الاسباني إيبالثا، وهذا باعتماده على الوثائق المتوفرة في مصالح الأرشيف الاسباني، فيصف إيبالثا الأمير عبد القادر بالقائد وزعيم المقاومة، ولقد نجح المؤرخ في وصف المشهد بموضوعية عكستها اختياراته للعبارات والمفردات والمصطلحات المناسبة، فهو يصف حركة الأمير بالمقاومة، وبالمقابل يصف فرنسا بالغزاة، حيث يقول دي إيبالثا في معنى ذلك:

Nacido hacia 1808, asume la cabeza de la resistencia argelina frente a la invasion francesa[13].

يصف دي إيبالثا فترة المراسلات المدروسة بالحرجة بالنسبة للأمير عبد القادر، وهي فترة ضعف شهدت الكثير من الصعوبات في تسيير شؤون الدولة، ورغم هذه الاختلالات نجح الأمير في تسييره لهذه المرحلة الصعبة، وبفضل ذكائه ودهائه استطاع أن يحافظ على هيبة الدولة الجزائرية بين الأمم. ويؤكد إيبالثا أن الأمير كان كل همه هو بعث أسس هذه الدولة من جديد واستغلال كل الوسائل والظروف الممكنة، وركز على إبراز رموز الدولة من خلال ضبط الجوانب التنظيمية التي لها بعد سيادي كتنظيم مصالح الضرائب، سك العملة وتقوية العلاقات الخارجية[14].

حلل دي إيبالثا بعمق مظاهر تلك الفترة الصعبة التي مر بها الأمير عبد القادر، وراح يعدد أسبابها وظروفها ونتائجها، ووقف طويلا على فترة لجوئه إلى المغرب، أين عانى من عزلة جديدة نظرا للضغط الفرنسي على نظام المغرب، و رغم كل هذه المكرهات التي تبعث على الاستسلام، إلا أن الأمير عبد القادر تمكن من تهيئة موقع ساحلي استراتيجي بمدينة مليلية المتاخمة لسواحل أوروبا، مما سيسمح له بممارسة النشاط التجاري الضروري لبعث الحياة في مؤسساته العسكرية والمدنية، كما كانت المنطقة نقطة انطلاق في نسج خيوط الاتصال مع الاسبان في الضفة الشمالية.

الوثائق التي اعتمد عليها دي إيبالثا أثبتت مدى عظمة شخصية الأمير عبد القادر الجزائري، وعلو حسها الدبلوماسي، ميزات أهلته لأن يكون زعيم دولة بامتياز، فقد تمتع بفن الخطابة واللباقة الواضحين من خلال المراسلات، والحس الراقي الذي ميّز كلماته التي كان يختارها بدقة وعناية حتى تؤدي المعنى كاملا وبشكل واضح، فتجده يمتدح الملكة الاسبانية سيدة الاسبان، ويدعو لها بالصحة والرقي والازدهار، ويربط هذا كله بمدى تتبع طريق الحق، الذي لا ينتهي إلا بحفظ ورحمة من الله على الحاكم وشعبه، وكأنها مقدمة تحية، وتهيئة نفسية، وتوعية دينية، وكلمات راقية تبعث على الغبطة و تريح النفوس و تعلي من قدر أهلها.

مواصلة لنفس النسق الدبلوماسي العالي، ينتقل الأمير عبدالقادر إلى التذكير بأمجاد الأمة الاسبانية، والتي تعود إلى غابر التاريخ، كما لا يغفل الحديث عن الموقع الاستراتيجي والمهم لإسبانيا، مكانة وأهمية لا تسمحان لها بأن تبقى متفرجة أو ملاحظة فقط لما يدور حولها من مقاومة الجزائريين ضد الفرنسيين، و يذكر إنه لمن الشأن العظيم أن تلعب إسبانيا دورا فعالا وحضاريا، يسجله التاريخ في محاولة خلق علاقات سلم بين الجزائريين والفرنسيين، وربما عبر هذا

المنحى يمكن وضع حد للحرب و الدمار و الخراب، ويؤكد الأمير على الآمال التي يعلقها كما هو الحال للفرنسيين على الخطوات التي ستقدم عليها إسبانيا، و الجميع سيكون شاكرا و ممتنا لعمل تاريخي عظيم ستقوم به اسبانيا لأجل الانسانية و تاريخ البشرية[15].

كما لا يغفل الأمير الحديث عن التاريخ والعودة إليه ليذكر بأمجاد الملوك في القديم، و هم أصحاب المبادئ والأخلاق، فلم تكن مساراتهم عبارة فقط عن حروب وانتصارات، وإنما كانت أيضا جمعا للفرقاء وتقريبا بين المختلفين ولماً للشمل حتى لا تكون هناك حروب ودماء تراق بين الإنسان و أخيه الإنسان، فهو هنا يدرج كل البشرية في سلة واحدة، ومهما كان الاختلاف في آخر المطاف فالكل بشر سواسية يتمتعون بحق الوجود، وهذا ما يمكن تحقيقه بين الجزائريين و الفرنسيين و بالتالي و بسعيكم سيكون من الممكن أن نمضي على اتفاق سلام دائم[16].

المستوى الراقي لهذه المراسلات خلق جوا من الاحترام والتقدير بين الأمير عبد القادر الجزائري ومملكة إسبانيا، وهذا ما جعل السلطات الاسبانية تبقي باب الاتصال والحوار مفتوحا مع الأمير، فكان دور الوساطة الاسبانية بالفعل تقديرا واحتراما لهذه الشخصية الإنسانية المميزة، ومن ورائها الأمة الجزائرية المكافحة.

لا يتوانى ميكيل دي إيبالثا في الإعلاء من مقام الأمير عبد القادر الجزائري، ويؤكد على ضرورة المزيد من الاهتمام بهذه الشخصية من طرف الباحثين للوقوف على مآثره، ويختص الإسبان بنصيحته، ويعود ميكال إلى الاهتمامات الأولى للإسبانيين بالأمير عبد القادر والاتصالات التي أجراها معه قادة عسكريون في معسكره[17].

رابعاً: البعد الإنساني في شخصية الأمير عبد القادر:

مما لا شك فيه أن سمو شخصية الأمير ألهمت كل مفكر على وجه المعمورة، وإنسانيته من خلال معاملته المتميزة للأسرى أبانت عن القائد الحامل لرسالة تتجاوز بناء الكيان الجزائري والدفاع عنه إلى مشروع حضاري إنساني يجعل من احترام الذات البشرية وفق الشرائع أساسا للبناء الحضاري[18].

يقول دي إيبالثا، إنه من الضروري أن تبرز شخصية الأمير في أي عمل كيفما كان في صورة البطل الإنساني، الذي أثرت سلوكاته السياسية والمعاملاتية على كل مفكر غربي، فجعلته يعترف بعلو الشأن، ويمجد ما يقوم به الأمير، ولعل وقع مساهمة الأمير في حلحلة أزمة المسيحيين بسوريا عام 1860م كان لها الوقع المدوي على قلب كل مسيحي، فغير الأمير بجهوده الكثير من الأفكار المغلوطة والمنسوبة ظلما وبهتانا للمسلمين. حديثا يمكن الوقوف على إجماع حول عظمة وتميز هذه الشخصية، ويمكن ملاحظة ذلك من خلال ما تم التوصل إليه في المؤتمر الثاني حول الإسلام والمسيحية بقرطبة، عام 1977م أين رفعت آيات الاحترام والتقدير لشخصية الأمير[19].

كلما كانت هناك مزيد من البحوث حول تاريخ الجزائر وأميرها، إلا و زادت رغبة البحث و الغوص في معالم هذه الشخصية العظيمة، و لعل ما تم الوقوف عليه من خلال المراسلات بينه و بين السلطات الإسبانية أبانت عن شخصية القائد صاحب بعد النظر، الرجل السياسي المستشرف، الدارس للأحوال و المهتم بتجنب المصالح الضيقة، خدمة لمصلحة الإنسان والإنسانية. يقول ميكيل: "لقد واجه الأمير الفرنسيين بشجاعة، كان همه هو السيادة و الكرامة، لقد كان قائدا سياسيا و عسكريا ذكيا، لدرجة أنه فرض احترام الغير له، و هنا نقف على كلمات رئيس الوزراء الإسباني آنذاك.Joaquín Francisco Pachaco، الذي نصح بالاهتمام بمقترحات الأمير و وجوب تبليغ الطرف الفرنسي بأفكاره ومقترحاته"[20].

مما لا شك فيه أن وفرة البيبليوغرافية التي تقف على مآثر الرجل لها دلالات بأبعاد دولية، لقد وقف ميكيل على هذه الدراسات من خلال اهتماماته بتاريخ الجزائر، ودونها في أعمال ومقالات منشورة، كما وقف على حياته وتكوينه، وتطور مشروع الأمير الذي بدأ بالمقاومة كأول مرحلة لتأسيس الدولة الجزائرية، ويتحدث عن فنيات الأمير في التعامل مع الرعية، وكيف استطاع أن يؤسس دولة بمجتمع متحرك – الزمالة- على شاكلة ما قام به خيمي الأول حاكم آراغون 600 سنة من قبل[21].

لقد أصر الأمير على سيادة وحرية وكرامة الجزائر بكل الوسائل والطرق المتاحة، إنها الإرادة، والإيمان بالقضية، ولعل عمله على خلق ملامح الدولة وأساسياتها، كان دلالة على ذلك، كتنظيم مسألة الضرائب، العملة، والعلاقات الدولية، ورغم الانتقال من مراحل القوة إلى الضعف أحيانا نظرا للظروف العامة، إلا أن الأمير ظل حاملا للرسالة، مهتما

بالشأن العام، محاولا الوصول لأهدافه وهذا رغم محاولة العزل الكلية من طرف الفرنسيين للأمير بالمغرب[22].

ينهض الأمير عبد القادر من جديد، ويستثمر فيما توفر كيفما كان، وجنوحه للمناطق المتاخمة للساحل بمليلية عبارة عن استراتيجية ذكية، وتحريكه لمسار مشروعه للبناء وهو في أسوأ الحالات، وبالفعل تمكن من نسج خيوط تجارية مع أوربا، وفتح علاقات دولية من خلال اتصالات مثمرة مع إسبانيا[23].

سيطرة الفرنسيين بمساعدة الظروف التي لم تكن في صالح الأمير، وتنقل الأمير عبر العديد من السجون والإقامات من باو، لامبواز، بروسا-أناطوليا-، دمشق، جعل من الأمير الشخصية البارزة على مستوى العالم، فكان رمزا للمقاومة بالنسبة للمسلمين، و قائدا إنسانيا ببعد نظر وحامل لرسالة عالمية بالنسبة للغرب[24].

يعود إيبالثا إلى المراسلات، فمن خلال مراسلة الأمير للملكة إيزبيلا، 1847م // 1263 هـ، يبرز الأسلوب الراقي في الكتابة لدى الأمير القائد، ارتباطه بأصوله وافتخاره بها، واطلاعه على تاريخ الأمم ومنها الأمة الإسبانية، وإرساله لإشارات الاحترام والتقدير، والرسائل الملزمة على أساس أن يكون الحق هو الأساس في التعاملات، يقول الأمير في مراسلته:

«Del rey de los muslimes Abd-el-cáder hijo de Muhiyo-d-dín (déle Dios su amparo y su ayuda!) a la Magestad de la Reina de España, señora de los dominios españoles. Salud y prosperidad a los que siguen el camino de la verdad como también la misericordia de Dios y su bendición[25].

من خلال فن الكتابة والخطابة تتضح معالم دبلوماسية راقية، حنكة، ومنهجية في طرح المواضيع، يبدأ الأمير بذكر مناقب وأمجاد الأمة الإسبانية، ويقف على شخصياتها الحاكمة، وأهم صفات الحق والعدل المتوفرة فيهم، ليأتي على ذكر المقاومة المستميتة في وجه الفرنسيين، ليصل إلى الظروف الحالية التي تتطلب دورا مهما وحكيما للإسبان وللأمير والفرنسيين.

معطيات جعلت من إيبالثا يصل إلى نتيجة أن الأمير رجل سلام قبل أن يكون رجل حرب، حيث يطرح الأمير على الإسبان إمكانية لعب دور الوسيط لإحلال السلام بين الجزائريين والفرنسيين، بهدف وقف الحرب، ثم ينال الإسبان منا ومن الفرنسيين الشكر والامتنان والاحترام. وهنا يعود الأمير ليذكر الملكة الإسبانية بخصال الملوك الكبار، عندما يتدخلون لإحلال السلام بين الأصدقاء، ولهذا ينتظر من الإسبان وضع حد للحرب من خلال سلام دائم كما أن الأمير ظل يؤمن بالمسار الطويل لتحقيق الأهداف، ولهذا يدعو السلطات الإسبانية بترك باب الاتصالات مفتوح من خلال حاكم مليلية[26].

خامساً نظرة الحكام الإسبان للأمير عبد القادر:

من خلال مقترحات السلطات و السياسيين بدا جليا الاهتمام بكل ما يكتبه و يقترحه الأمير، فحاكم مليلية يكتب لرئيس الوزراء وينصحه بأخذ مبادرة الأمير بجد، فهي جد مهمة من قائد مهم، يقول: "لكن في هذه الأثناء، لا يبدو لي أن هذه الحركة لعبد القادر يمكن إهمالها لحظة واحدة، هذا القائد رجل ذو جدارة عظيمة، وقد عرف منذ ستة عشر عامًا من القتال كيفية إنشاء قوة ليست مقيدة، لكن هذا في بعض الأحيان جعل الجزائر تبرز، وربما هذا قد يلتهم المغرب في المنعطف التالي، لذلك اعتقدت أنه من خلال تقييم الوضع يجب الاهتمام بالعلاقات بيننا وهذا جد مهم، يجب علينا قبولها وتنميتها، لقد اعتقدت أنه كان من الضروري الرد علي شخص الأمير، والقيام بشيء يمكننا من خلاله جلبه في وقت ما إلى فلكنا"[27].

كما أبانت مراسلات الملكة لحاكم مليلية، عن تقديرها لهذه الشخصية وذلك بفتح الأبواب لها، ووجوب المحافظة على الأمير ورجاله كجيران مهمين للإسبان ويؤكد إيبالثا ذلك بما كتبه المسؤولون الإسبان في مراسلاتهم:

S.M. la Reina manda igualmente al Gobernador de Melilla que reciba y oiga a vuestros enviados, siempre que queráis dirigir vuestras comunicaciones a su real trono. Su intención es hacer por vuestros árabes todo lo que debe hacese entre buenos vecinos[28].

ومن الواجب، الإشارة إلى وجود مؤرخين إسبان أكدوا الاهتمام بالأمير وأثبتوا عظمته التي أوجدت لنفسها أسمى الأماكن في قاموس أعظم الشخصيات الانسانية، وبالتالي وجب التأكيد أن إيبالثا لم يكن المؤرخ الاسباني الوحيد الذي اهتم اهتماما متميزا بالأمير، فلقد كان هناك العديد من المؤرخين الذين كتبوا عنه كالمؤرخ خوان باوتيستا فيلار[29] والذي يصف هذه الشخصية بالرسالية، حيث اعتبرت البحث

عن عناصر السيادة من الأسس والقواعد الهامة للوصول إلى أهداف أبعد ألا وهي بناء الدولة بمفهومها العصري، وراح باوتيستا يفسّر طبيعة العلاقة التي نسجتها الظروف بين الاسبان والأمير بشقيها الرسمي الدولي وغير الرسمي عن طريق الجالية الاسبانية المقيمة بالجزائر، فلقد كان هناك وقفات للمؤرخين عند هؤلاء المهاجرين الاسبان الذين قدموا دعما متعدد الأشكال لفرنسا منذ بداية الاحتلال الفرنسي، وهو ما جعلهم في مواجهة مع الأمير، ويعنون المؤرخ باوتيستا بوضوح هذا الجانب بعبارة المشاركة الاسبانية في الاحتلال الفرنسي للجزائر[30].

كما كان للأمير دور في محاولة التقليل من حدة الاصطدام بين الحضارتين المسيحية والإسلامية، وبالفعل كان الأمير عبد القادر الجزائري من الرموز التي نادت إلى التسامح والتعايش؛ هذا وقد كان التأكيد من طرف المؤرخين الإسبان على طغيان الصبغة الدينية على هذا النمط من الصراع والذي أجبر الأمير على أن يكون من رواده دفاعا عن الأرض والعرض والدين[31]:

"*La muerte de muchos espanoles caidos en lucha por la civilizacion cristiana, constituyen el testimonio vivo de qui los espanoles...hicieron en Argelia durante el siglo XIX*[32]"

لقد اصطدم الإسبان أو العنصر الإسباني بمقاومة الأمير عبد القادر مباشرة، وذلك بعد وصول الدعم اللوجستي الإسباني والمتمثل في المهندسين[33] الذين كان لهم الدور الفعال في خدمة الآلة العسكرية الفرنسية، حيث دفعت هذه المشاركة إلى المواجهة المباشرة مع المستعمر وداعميه، ولكن الأمير بذكائه الدبلوماسي والسياسي، خلق خطين متوازيين في نشاطه، فإلى جانب المقاومة، كان الأمير يدرك مدى دعم أغلب الدول الأوروبية لفرنسا، لكن الاحتفاظ بعلاقات مع هذه الدول وخاصة المهمة منها، سيوفر الكثير لمقاومة الأمير وكيانه، عن طريق تنشيط الحركة التجارية البحرية.

كما يقر ميكيل دي إيبالثا وزملاؤه أن سياسة الأمير وصبره في مواجهة المستعمر وإصراره على بناء الدولة الجزائرية كان عملا عظيما، كما كان عملا ملهماً للعديد من رجالات التاريخ وهذا ما ينطبق على المقاوم التاريخي عبد الكريم الخطابي عندما استغل خليج الحسيمة في دعم كيانه بالريف، مقتبسا المثل القادري بتمركزه بمليلية[34].

تركيز دي إيبالثا على اصطدام الأمير عبدالقادر بالمستعمر الفرنسي وعناصره الداعمة، يفتح الباب واسعا لتدارك القراءات الخاطئة حول الأمير، فمن منطلق أن مدريد رأت في مقاومة الأمير للغرباء عن الجزائر اعتداء على الجالية الاسبانية المقيمة بها، و رغم المخاوف الإسبانية، بحيث كانت سلطات مدريد حذرة و هي ترى في محاولة الأمير إنشاء دولة بغرب الجزائر، وهو ما يصطلح عليه باسم الإقليم الإسلامي المستقل، محاولة لخلق مزيد من التوتر وعدم الاستقرار في المنطقة، بالإضافة إلى اعتقادها أن التمكن من تحقق هذا المشروع سيصعد من العمليات ضد الإسبان ومصالح إسبانيا، لكن بالاضطلاع على المراسلات والممارسات يفضي إلى أن هذا الوضع لم يكن بالضرورة دلالة على وجود علاقة متأزمة واضحة بل ظلت الاتصالات قائمة و علاقات الاحترام متوفرة[35].

خاتمة:

لقد اتفق ميكيل دي إيبالثا إلى جانب عديد المؤرخين الاسبان سواء كانوا كتابا، مترجمين أو محللين على عظمة شخصية الأمير عبد القادر، وهي معطيات كلها مهدت الطريق لتكون هذه الشخصية عالمية بكل المقاييس، سواء في المجال العسكري، الاقتصادي، السياسي والأدبي، ولكن أثر الصبغة الانسانية في سلوك الأمير كان له الوقع الأكبر، فذلك القائد العسكري الذي لم يرحم ولم يتسامح مع المستعر، كان كله إنسانية في معاملة الأسرى ومحاولات الاصلاح بين الأطراف المختلفة، والتزاماته بالدفاع عن الحقوق.

ضف إلى ذلك كان الأمير عبد القادر قامة دبلوماسية أحسنت التواصل مع الغير عن طريق الأساليب الحكيمة والحضارية في التعامل والاتصال بمختلف الدول، فدبلوماسية الأمير تجلت في تلك المراسلات وما تضمنته من أساليب خطابية راقية، تثبت عبقرية وهمة هذا الرجل، كما يعتبر أول باعث للدولة بالمعنى الحديث، وهي أمور جعلت من اسمه أهم الشخصيات التاريخية في زمانه، والتي طال تأثيرها حتى وقتنا الحاضر فكريا وسياسيا، فكان الأمير بالفعل واحدا من أبرز الشخصيات في تاريخ البشرية.

قائمة الببليوغرافية:

أولا: باللغة العربية:

1- فريد بك محمد المحامي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، ط1، دار النفاس، بيروت، لبنان، 1401هـ – 1981م.

2- كبداني فؤاد، صورة الأمير عبد القادر في الكتابات الإسبانية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح، العدد ب 31، 2017، ص ص. 611-618.

3- بو عزيز يحي - الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري. سيرته الذاتية وجهاده. دار النشر ابن خلدون. تلمسان. 2002.

ثانيا: باللغات الأجنبية:

ORRESPONDENCIA INEDITA DEL EMIR ABDELKADER DE ARGELIA CON ESPAÑA, EN VISPERAS DE SU RENDICION (1847) en https://core.ac.uk/download/pdf/32327363.pdf.

5- Henry Teissier –Arzobispo de Argel-, *Cartas de Argelia* –Lettres d Algérie-, Trad. Beatriz Gerez Craemer, Ediciones encuentro, Madrid. 2000.

6-Véase, Auguste de FRANCE (traducción Ramón de CASTAÑEDA), Los prisioneros deAbd-ei-Kader o cinco meses de cautiverio entre los árabes, dos volúmenes, Madrid, 1838-1839.

7-Véase, Auguste de France. Traduction du Ramon de Castaneda. *Los prisioneros de Abd el-kader o cinco meses de cautiverio entre los árabes*, V 1, V 2, Madrid, 1838 – 1839.

8-Véase, Crispín Ximénez Sandoval y Antonio Madera Vivero, *Memorias sobre la Argelia*; Madrid, 1853.

9- Véase, Gómez Nogales, Salvador, II Congreso Internacional Islámico-Cristiano de Córdoba, Revista de información de la Comisión Nacional Española de Cooperación con la UNESCO. Castilla y León, 1977

10- Véase, Mikel de Epalza y Med Corso. *Anales de historia contemporáne*. V23.

4- Crispín XIMENEZ DE SANDOVAL y Antonio MADERA VIVERO, Memorias sobre la Argelia, Madrid, 1853; documentación inédita conservada en el Archivo Histórico Nacional de Madrid, Sección Estado, legajo 8.357 (de Pedro Burriel, Francisco Villón y Francisco Coello) o el manuscrito de «Memorias españolas de los que vieron la guerra de Abdel Qáder», conservado en el Servicio Geográfico del Ejército de Madrid, sección Cartoteca historica. Véase: Mikel de Epalza, NOTA SOBRE LA C

11-Véase, Mikel de Epalza, *Anales de la Universidad de Alicante, Historia Contemporánea*.

12-Véase, Mikel de Epalza, quelques archives espagnoles concernant l'histoire du Maghreb XVIII – XIX siècles, acte di 1er Congrés d'Histoire et de la Civilisation du Maghreb, Tunes, Novembre, 1974

13-Véase, Miquel de Epalza Ferrer. *Nota sobre la correspondencia inédita del emir Abdelkáder de Argelia con España, en vísperas de su rendición (1847)*. Anales de la Universidad de Alicante. Historia Contemporánea. 1982.

14- Véase, Mikel de Epalza, Quelques Archives Espagnoles Concernant l'Histoire du Maghreb – XVIII – XIX siècles-. Acte du premier congrès d'Histoire et de la civilisation du Maghreb. Tunéz. Novembre. 1974. T II. Tunéz. 1979.

15- véase, Juan Sisinio Pérez Garzon. *Isabel II: los espejos de la reina*. Ed. Marcial Pons Historia. Madrid. 2004.

16- Juan Bautista Vilar Ramírez. Los españoles en la Argelia francesa (1830-1914). Editorial CSIC - CSIC Press,1989.

الهوامش:

[1] الأمير عبد القادر الجزائري: ولد عام 1808م بمدينة معسكر غرب الجزائر وتوفي بدمشق عام 1883م. هناك كم هائل من البيبليوغرافية التي تناولت شخصية الأمير عبد القادر الجزائري من عدة نواحي، كسياسي، صوفي، كمؤسس لمفهوم الأيديولوجية الجزائرية التي أسست لمفهوم الدولة، ونوصي بالعمل الأخير للمؤرخ المرحوم يحي بو عزيز - الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري. سيرته الذاتية وجهاده. دار النشر ابن خلدون. تلمسان. 2002. ع ص 214.

[2] كتابات الفرنسيين حول الأمير عبد القادر. ومنها كتابتا ت برونو إيتيان الحديثة وهناك الكتابات التي عاصرت فترة الأمير وكان جل الكتاب رجال جيش وسياسة ومنهم:

Melchior Joseph Eugène Daumas,. *Les Chevaux du Sahara et les mœurs du désert*, Paris, Lévy, 1864. P 185.

Paul, Azan, *L'émir Abd el Kader*, 1808-1883, ed. Brodard, 1925. Eugène de Civry, *Napoléon III et Abd-El-Kader. Charlemagne et Witikind: Étude historique et politique. Biographie de l´Emir*, Paris, 1853.

[3] ميكيل دي إيبالزا فيرير Mikel de Epalza Ferrer (باو، 1938 - أليكانت، 6 ديسمبر 2008) مستعرب اختص في اللغة العربية. كما كان مترجما وأستاذا جامعيا بالجامعات الإسبانية. اهتم كذلك بالعلاقات الإسبانية مع الدول العربية والجزائر والمغرب. كان من أكثر الشخصيات احتراما للإسلام والحضارة الإسلامية وأبرز شخصياتها. درس في عديد الجامعات بطنجة وهران، مدريد، وأليكانت، وركز في أعماله على الموريسكيين قبل وبعد الطرد. واهتم بثقافة الحوار بين الإسبانيين والمسيحيين والمسلمين، فضلا عن ترجمة القرآن الكريم إلى الكاتالونية، وحائز على جائزة الترجمة الوطنية في عام 2003. درس أيضا تاريخ المدن الإسلامية مثل مدينة عنابة الجزائرية وغيرها. ضف إلى ذلك اهتمامه بالشخصيات ومنها شخصية الأمير عبد القادر الجزائري. وقد تعاون في ذلك مع باحثين جزائريين.

[4] Véase, Mikel de Epalza y Med Corso. *Anales de historia contemporáne*. V23. P.234.

[5] إيزابيل الثانية ملكة إسبانيا، والملقبة بالملكة كاستيزا ولدت بمدريد عام 1830 وتوفيت 1904. كانت ملكة اسبانيا بين 1843 و1868. ينظر.
. véase, Juan Sisinio Pérez Garzon. *Isabel II: los espejos de la reina*. Ed. Marcial Pons Historia. Madrid. 2004. P. 21.

[6] Véase, Miquel de Epalza Ferrer. *Nota sobre la correspondencia inédita del emir Abdelkáder de Argelia con España, en vísperas de su rendición (1847)*. Anales de la Universidad de Alicante. Historia Contemporánea. 1982, 1,pp 231-239.

[7] Véase, Mikel de Epalza, *Anales de la Universidad de Alicante, Historia Contemporánea*, p. 231.

[8] Véase, Mikel de Epalza, Quelques Archives Espagnoles Concernant l'Histoire du Maghreb –XVIII – XIX siècles-. Acte du premier congrès d'Histoire et de la civilisation du Maghreb. Tunéz. Novembre. 1974. T II. Tunéz. 1979. PP 331 – 341.

[9] Véase, Crispín Ximénez Sandoval y Antonio Madera Vivero, *Memorias sobre la Argelia*; Madrid, 1853, pp 655.

[10] Véase, Auguste de France. Traduction du Ramon de Castaneda. *Los prisioneros de Abd el-kader o cinco meses de cautiverio entre los árabes*, V 1, V 2, Madrid, 1838 – 1839.

[11] حول الدروز والمور ودور الأمير عبد القادر الجزائري سنة 1860.
محمد فريد بك المحامي. تحقيق الدكتور إحسان حقي. تاريخ الدولة العلية العثمانية. ط1. دار النفاس. بيروت. لبنان. 1401ه – 1981م. ص 467.

[12] Henry Teissier –Arzobispo de Argel-, *Cartas de Argelia* –Lettres d Algérie-, Trad. Beatriz Gerez Craemer, Ediciones encuentro, Madrid. 2000, pp. 136.

[13] مراجعة الأرشيف التاريخي الوطني بمدريد. يتوفر على مخطوطات ووثائق تتعلق بالأمير عبد القادر ومراسلاته. ميكيل دي إيبالثا. الحوليات. *Op.cit*., p. 231. *Anales*.

[14] *Anales*. *Op.cit*., 232.

[15] Anales, *Op.cit*., p. 234.

[16] *Ibidem*.

[17] Crispín XIMENEZ DE SANDOVAL y Antonio MADERA VIVERO, Memorias sobre laArgelia, Madrid, 1853; documentación inédita conservada en el Archivo Histórico Nacional de Madrid, Sección Estado, legajo 8.357 (de Pedro Burriel, Francisco Villón y Francisco Coello) o el manuscrito de «Memorias españolas de los que vieron la guerra de Abdel Qáder», conservado en el Servicio Geográfico del Ejército de Madrid, sección Cartoteca historica. Véase: Mikel de Epalza, NOTA SOBRE LA CORRESPONDENCIA INEDITA DEL EMIR ABDELKADER DE ARGELIA CON ESPAÑA, EN VISPERAS DE SU RENDICION (1847), pp 213-239, en https://core.ac.uk/download/pdf/32327363.pdf.

[18] Véase, Auguste de FRANCE (traducción Ramón de CASTAÑEDA), Los prisioneros deAbd-ei-Kader o cinco meses de cautiverio entre los árabes, dos volúmenes, Madrid, 1838-1839, pp. 147.

[19] Véase, Gómez Nogales, Salvador, II Congreso Internacional Islámico-Cristiano de Córdoba, Revista de información de la Comisión Nacional Española de Cooperación con la UNESCO. Castilla y León, 1977, n. 10; p. 73-77.

[20] Son un conjunto de 23 documentos, conservados en la Sección de Estado, legajo5802, del Archivo Histórico Nacional de Madrid. Debo su conocimiento al Dr. Mariano Arribas Palau, profesor de la Universidad Complutense de Madrid y reconocido investigador de historia hispano-marroquí. Con el profesor Yahya Bouaziz, Jefe del Departamento... tenemos en prensa un estudio en árabe sobre esta documentación, dentro del conjunto dela política exterior del Emir Abdelkáder. Véase, [20] Mikel ; Anales, *Op.cit*, p. 231.

[21] Véase, Mikel de Epalza, quelques archives espagnoles concernant l'histoire du Maghreb XVIII – XIX siècles, acte di 1er Congrés d'Histoire et de la Civilisation du Maghreb, Tunes, Novembre, 1974, pp 331-341.

[22] Véase, Mikel ; Anales, *Op.cit*, p. 232.

في هذا الصدد يتحدث المؤرخ الإسباني باوتيستا على براعة الأمير عبد القادر في تحقيق المصالحة وجمع الشمل: ويعلق على دور الأمير البارز في لم الفرقاء في صف واحد حيث يقول: Contra *ese estado de cosas se alzaria el morabito Abd el Kader- ; quien*

logro conciliar a los Quadria con las otras tres cofradias del pais. -Taibia ; Derkaua y Tidjania[22]. تعبير واضح أولا عن رفض الأمير عبد القادر لسياسة الأمر الواقع التي أرادت فرنسا أن توضحها من خلال مواصلة مسلسل إخضاعها للمناطق، هذا الرفض جاء عن طريق المصالحة وإصلاح ذات البين بين مختلف الطرق الصوفية الدينية الموجودة، وهذا كله لخلق دعم لوجستيكي ديني مهم في عملية المقاومة ضد المستعمر، هذا وسنأتي على ذكر المؤرخ واهتماماته التي يتقاطع معها مع دي إيبالثا لاحقا.

Juan Bautista Vilar Ramírez. Los españoles en la Argelia francesa (1830-1914). Editorial CSIC - CSIC Press,1989, pp. 15, 18, 85.

[23] Véase, Mikel; Anales, Op.cit, p. 233.

[24] Véase, Mikel; Anales, Op.cit, p. 234, Archivo Historico Nacional, Seccion Estado, Legajo 5802.

[25] Ibidem.

[26] Mikel; Anales, Op.cit, pp. 235.

[27] Mikel; Anales, Op.cit, p. 236.

[28] Carta de Macheco a Mazarrado, el 7 de junio, Véase, 28 Mikel; Anales, Op.cit, p. 237.

[29]. خوان بلوتيستا فيلار: ولد في بلدة فيلينا في اليكانت الإسبانية عام 1941، أستاذ ومؤرخ في جامعة مورسية ومؤلف العديد من الأعمال التي تتطرق إلى الروابط التاريخية بين إسبانيا ودول شمال أفريقيا. من أهم أعماله:

Colonización hispánica de la Argelia francésa
Las relaciones de España con el Magreb: siglos XIX y XX

[30] Véase, Juan Bautista Vilar Ramírez. *Los españoles en la Argelia francesa (1830-1914)*, *Op.cit*, p. 77.

[31] يتفق هؤلاء المؤرخون الاسبان على حكمة الأمير وعلو كعبه في التسيير في أحلك الظروف، فبعد أن بسط المستعمر نفوذه على المناطق الساحلية للبلاد، كان للإسبان دور في حماية الممتلكات التي تم الاستيلاء عليها وأماكن النشاطات التجارية والصناعية والفلاحية، وهذا النوع من النشاط الإسباني الذي كان يخدم المستعمر الفرنسي يهدف إلى الحفاظ على الوجود الإيجابي للإسبانيين بالجزائر، ثم من خلال تشكيل مجموعات عديدة من المتطوعين. وقد ارتقى هذا النوع من المشاركة الإسبانية ليندمج بشكل رسمي في عملية الغزو الفرنسية. الجميل أن هؤلاء المؤرخين أدرجوا البعد الديني ببعده الواضح في هذه المشاركة، على أنه هذا النشاط الاستعماري يدخل في إطار التضحيات من أجل الحضارة المسيحية ينظر: باوتيستا، المرجع السابق، ص ص.77-78.

[32]نفسه.

[33] Véase, Juan Bautista Vilar Ramírez. Los españoles en la Argelia francesa (1830-1914), Op.cit, pp. 15-18

[34]محمد بن عبد الكريم الخطابي والذي اشتهر بين الريفيين بـ مولاي موحند؛ رجل سياسي وقائد عسكري مغربي من منطقة الريف، وكان قائدا للمقاومة الريفية ضد الاستعمارين الإسباني والفرنسي للمغرب. ينظر: كبداني فؤاد، صورة الأمير عبد القادر في الكتابات الإسبانية، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد ب 31، جامعة قاصدي مرباح، 2017، ص ص. 611-618.

[35]عدم رغبة إسبانيا في قيام كيان للأمير عبد القادر. باوتيستا. المرجع السابق. ص 85.